

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٣ - سورة المنافقون

مدنية وآياتها إحدى عشرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)

[٢] (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)
 « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ »
 أى أن الأمر كما قالوه « وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ » أى فى قولهم (نَشْهَدُ)
 وادعائهم فيه مواطاة قلوبهم ألسنتهم ، لأنهم أضربوا غير ما أظهروا « اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ »
 أى حلفهم الكاذب ، أو شهادتهم هذه ، فإنها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد « جُنَّةً »
 أى وقاية من القتل والسبي ، « فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » أى دينه الذى بعث به رسوله
 صلوات الله عليه ، وشريعته التى شرعها لخلقهم « إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » أى فى
 اتخاذهم أيمانهم جُنَّةً ، وصددهم ، وغير ذلك من أعمالهم .

تنبيه :

فى (الإِكليل) : استدلل بالآية أبو حنيفة على أن (أشهد بالله) يمين ، وإن لم ينو معه ،
 لأنه تعالى أخبر عن المنافقين أنهم قالوه ، ثم سماه (أيماناً) انتهى .
 قال الناصر : وليس فيما ذكره دليل ، فإن قوله (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) غايته أن ما ذكره
 يسمى يميناً ، وليس الخلاف فى تسميته يميناً ، وإنما الخلاف : هل يكون يميناً مفقداً يلزم
 بالحنث فيها كفارة أم لا ؟ وليس كل ما يسمى حلفاً أو قسمًا يوجب حكماً . ألا ترى أنه لو
 قال : أحلف ، ولم يقل : بالله ، ولا بغيره ، فهو من محال الخلاف فى وجوب الكفارة به ،
 وإن كان حلفاً لغة باتفاق ، لأنه فعل مشتق منه . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

- [٣] (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)
- [٤] (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَتَلَهُمُ اللَّهُ ، أَنْبَىٰ يَوْمَفُكُونَ)

« ذَلِكَ » أى مانئى عليهم من مساوئهم « بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا » أى ظاهراً « ثُمَّ كَفَرُوا » أى سرّاً « فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » أى ختم عليها بما مروا عليه من التلون والتذبذب ورسوخ الهيات المنكرة ، فحببوا عن الحق « فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ » أى حقية الإيمان ، وحكمة الرسالة والدين « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ » أى لتناسب أشكالهم ، وحسن مناظرهم وروائهم « وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ » أى للين كلامهم بما يدهنون فيه « كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ » أى فى الخلو عن الفائدة ، لأن الخشب إنما تكون مسندة إذا لم تكن فى بناء ، أو دعمة لشيء آخر .

قال الفاشانى : روى عن بعض الحكماء أنه رأى غلاماً حسناً وجهه ، فاستنطقه لظنه ذكاً ، ففطنته ، فما وجد عنده معنى ، فقال : ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن ! وهذا معنى قوله (كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ) أى أجرام خالية عن الأرواح ، لا تقع فيها ولا تمر ، كالأخشاب المسندة إلى الجدران عند الحفاف ، وزوال الروح النامية عنها ، فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية ، والروح الإنسانى ، بمثابتها .

« يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ » قال ابن جرير^(١) : أى يحسب هؤلاء المنافقون ، من خبثهم ، وسوء ظنهم ، وقلة يقينهم ، كل صيحة عليهم ، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك

(١) انظر الصفحة رقم ١٠٧ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

به أستارهم ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم فهم من خوفهم من ذلك ، كلما نزل فيهم من الله وحى على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلا كهم وعطيهم . وقال القاشانى : لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين من نور الفطرة . وصفاء القلب ، وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس ، محتجبون باللذات والشهوات ، أهل الشك والارتياب ، فلذلك غلبهم الجبن والخور .

« هُمُ الْمُدُّوْا فَاخْذَرَهُمْ » قال القاشانى : فقد بطل استعدادهم ، فلا يهتدون بنورك ولا تؤثر فيهم صحبتك « قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُوْنَ » أى كيف يصرفون عن الحق ، مع وضوح مناره . و (قاتل) بمعنى لمن وطرد ، وهو دعاء أو خبر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٥] (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ)

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ » أى : هلموا إلى التوبة والإنابة مما فرط منكم ، وذاع من أفاعيلكم ضد المؤمنين « لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ » قال ابن جرير^(١) أى : حركوها وهزوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره . وبتشديد الواو من (لَوَّاْ) قرأت القراء على وجه الخبر عنهم ، أنهم كرروا هز رؤوسهم وتحريكها وأكثروا . إلا نافعاً ، فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو ، على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة .

« وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ » أى يعرضون عما دعوا إليه ، « وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ » أى : عن المصير إلى الرسول والاعتذار .

قال القاشانى : لضراوتهم بالأمور الظلمانية ، واعتيادهم الكالات البهيمية والسبعية ، فلا يألون النور ، ولا يشاقون إليه ، ولا إلى الكالات الإنسانية ، لسخ الصورة الذاتية .

(١) انظر الصفحة رقم ١٠٨ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ،
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)

«سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» قال القاشاني
لرسوخ الهيآت الظلمانية فيهم ، وزوال قبول استعداداتهم للهداية ، لفسقهم وخرجوهم عن
دين الفطرة القويم . وهذا معنى قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » .
القول في تأويل قوله تعالى :

[٧] (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ،
وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)

«هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا» أى : حتى
تصيبهم مجاعة ، فيتفروا عنه . يعنون فقراء المهاجرين .

قال القاشاني : لاحتجاجهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله ، وبما في أيديهم عماف خزائن الله ،
فيتوهمون الإنفاق منهم ، لجهلهم .

«وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» أى : من يديه
خزائنها ، رازقهم منها ، وإن يحل المنافقون .

لطيفة :

قال الشهاب : قوله تعالى (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ . . .) الخ تعليل لرسوخهم في الفسق ،
لا لعدم المغفرة . لأنه معلل بما قبله . وقوله : (عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) الظاهر أنه حكاية
ما قالوه بعينه ، لأنهم منافقون مقرون برسائلته ظاهراً ، ولا حاجة إلى أنهم قالوه تهكماً ، أو
لغلبة عليه ، حتى صار كالعلم ، كما قيل . ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة ، فغيرها الله
إجلالاً لنبيه ﷺ وإكراماً . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٨] (يَقُولُونَ لَيْنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ ،

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

« يَقُولُونَ لَيْنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ ، وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ

وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » أى : لكان غرورهم وجهلهم

وشدة ارتياهم .

تنبيهان :

الأول - قال ابن جرير^(١) : عنى بهذه الآيات كلها - فيما ذكر - عبد الله بن أبي ابن سلول .

وذلك أنه قال لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا . وقال : لئن رجعنا إلى

المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل . فسمع بذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله ﷺ ، فدعاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عما أخبر به عنه ، فحلف أنه ما قال ! وقيل له : لو أتيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ويحركه استهزاء ،

ويعنى بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأُزيل الله عز وجل فيه هذه السورة من أولها

إلى آخرها .

ثم أورد ابن جرير الروايات في ذلك . وتقدمه الإمام البخاري ، فأسندها من طرق .

ويجمعها كلها ما رواه ابن إسحاق في غزوة بنى المصطلق : أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم

على ماء لهم يقال له (المريسيع) وأظفره الله بهم . قال : فبينما الناس على ذلك الماء ، وردت

واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له (جهجاه) ، يقود فرسه .

فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج ، على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني :

(١) انظر الصفحة رقم ١١٣ من الجزء الثامن والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

يامعشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟! قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ! والله ! ما أعدّنا وجلايب قریش هذه إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم . أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم ، لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب . فقال : مرّ به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف ، يا عمر ، إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ! ولكن أذن بالرحيل ، في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبيّ ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، خلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً . فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ! عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل - حدّبا على ابن سلول ودفعاً عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة ، وسلم عليه ، ثم قال : يانبي الله ! والله لقد رحت في ساعة منكورة ، ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال وأى صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبيّ ! قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل ! قال : فأنت يارسول الله ، والله ، تخرجه منها إن شئت . هو ، والله ، الدليل وأنت العزيز . ثم قال : يارسول الله ! ارفق به .

فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه يرى أنك قد استلبته ملكاً ، ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومهم ذلك ، حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدرَ يومهم ذلك حتى آدتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض ، فوقعوا نياماً . وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي . ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وقدم المدينة ، ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ، في ابن أبي ، ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى لله بأذنه اه .

وكانت غزاة بني المصطلق هذه ، في شعبان سنة خمس ، كما في (زاد المعاد) . وزعم قوم أن هذه المقالة كانت في غزوة تبوك . قال الحافظ ابن حجر : وقع في رواية محمد بن كعب عن زيد بن أرقم عند (النسائي) أنها غزوة تبوك . ويؤيده قوله في رواية زهير : في سفر أصاب الناس فيه شدة . وأخرج عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير مرسلًا ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل منه حتى يصلي فيه . فلما كان غزوة تبوك ، نزل منزلاً ، فقال عبد الله بن أبي : فذكر القصة .

والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق . ويؤيده قول جابر ، بعد قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : (دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه) .

وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ، ثم إن المهاجرين كثروا بعد . فهذا مما يوضح وهم من قال : إنها كانت بتبوك ، لأن المهاجرين حينئذ كانوا كثيراً جداً . وقد انضافت إليهم مسلمة الفتح في غزوة تبوك ، فكانوا حينئذ أكثر من الأنصار انتهى . وسبقه ابن كثير حيث قال : وقوله - أي ابن جبير - إن ذلك كان في غزوة تبوك ، فيه نظر ، بل ليس بجيد ، فإن عبد الله بن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل

رجع بطائفة من الجيش . وإنما المشهور عند أصحاب المغازى والسير ، أن ذلك كان في غزوة الريسيع ، وهي غزوة بنى المصطلق . انتهى .

التنبيه الثاني - قال الزمخشريّ: معنى قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الخ أى: الغلبة والقوة، ولن أعزه وأيده من رسوله ومن المؤمنين . وهم الأخصاء بذلك . كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين .

وعن بعض الصالحات - وكانت في هيئة رثة - ألتى على الإسلام ، وهو العز الذى لاذل معه ، والغنى الذى لافقر معه ؟

وعن الحسن بن علىّ رضى الله عنهما ؛ أن رجلاً قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيهًا؟ قال : ليس بتيه ، ولكنه عزة وتلا هذه الآية . انتهى .

قال الرازى : قال بعض العارفين فى تحقيق هذا المعنى : العزة غير الكبر ، ولا يحل المؤمن أن يذل نفسه ، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية . كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه، وإزالتها فوق منزلها . فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة ، وتختلف من حيث الحقيقة ، كاشتباه التواضع بالضععة ، والتواضع محمود ، والضععة مذمومة . والكبر مذموم ، والعزة محمود . ولما كانت غير مذمومة ، وفيها مشاكلة للكبر ، قال تعالى^(١) (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) وفيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق ، والوقوف على حد التواضع ، من غير انحراف إلى الضعة ، ووقوف على صراط العزة المنصوب على نار الكبر .

والعزة من حيث الحقيقة ، هي معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية . كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه، وإزالتها فوق منزلها . فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة ، وتختلف من حيث الحقيقة ، كاشتباه التواضع بالضععة ، والتواضع محمود ، والضععة مذمومة . والكبر مذموم ، والعزة محمود . ولما كانت غير مذمومة ، وفيها مشاكلة للكبر ، قال تعالى^(١) (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) وفيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق ، والوقوف على حد التواضع ، من غير انحراف إلى الضعة ، ووقوف على صراط العزة المنصوب على نار الكبر .

(١) [٤٦ / الأحقاف / ٢٠] .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٩] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ

ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

[١٠] (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ

رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ)

[١١] (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أي :

لا يشغلكم الاغتياب بها عن ذكر أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، أو ذكر ما أنزله وأوحى به .

ومنه أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . فإن مقتضى الإيمان أن لا يبالي المؤمن بعزة المال والولد ،

مع عزة الله «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» أي المغبونون حظوظهم من كرامة الله

ورحمته ، كما قال سبحانه ^(١) (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ) . «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ» أي أنصق وأخرج حقوق مالي

«وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ» وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا» أي لن يؤخر في أجل

أحد إذا حضر ، ولكن يخترمه .

قال القاشاني : معنى قوله (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

إن صدقتم في الإيمان ، فإن قضية الإيمان غلبة حب الله على محبة كل شيء ، فلا تكن محبتهم

ومحبة الدنيا ، من شدة التعلق بهم وبالأموال ، غالبة في قلوبكم على محبة ، فتحتجبوا بهم

عنه ، فتصيروا إلى النار ، فتخسروا نور الاستعداد الفطري بإضاعته فيما يفنى سريعا ،

وتجردوا عن الأموال بإنفاقها وقت الصحة والاحتياج إليها ، ليكون فضيلة في أنفسكم ،

(١) [٥٩ / الحشر / ١٩] .

وهيأة نورية لها، فإن الإتفاق إنما ينفع إذا كان عن ملكة السخاء، وهيأة التجرد في النفس .
فأما عند حضور الموت ، فالمال للوارث لا له ، فلا ينفعه إتفاقه ، وليس له إلا التحسر
والتندم ، وتغنى التأخير في الأجل بالجهل ، فإنه لو كان صادقاً في دعوى الإيمان ، وموقناً
بالآخرة لتيقن أن الموت ضرورى ، وأنه مقدر في وقت معين قدره الله فيه بحكمته ، فلا
يمكن تأخره .

« وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ » أى : بأعمالكم ونياتكم . فلا ينفع الإتفاق في ذلك الوقت
ولا تمنى التأخير في الأجل ، ووعد التصدق والصلاح ، لعلمه بأنه ليس عن ملكة السخاء ،
ولا عن التجرد والزكاء ، بل من غاية البخل وحب المال ، كأنه يحسب أنه يذهب به معه ،
وبأن ذلك التمنى والوعد محض الكذب، ومحبة العاجلة، لوجود الهيأة المفاية للتصدق والصلاح
في النفس ، والميل إلى الدنيا ، كما قال الله تعالى ^(١) (وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ) - والله أعلم - .

تنبيه :

قال الإمام إلكيا الهراسي : يدلّ قوله تعالى (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنٰكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ...) الآية ، على وجوب إخراج الزكاة على الفور ، ومنع تأخيرها .
وأخرج الترمذى ^(٢) عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو يجب
عليه فيه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقيل له : إنما يسأل الرجعة الكفار ،
فقال : سأتلو عليكم بذلك قرآنا . ثم قرأ هذه الآية .

(١) [٦ / الأنعام / ٢٨] .

(٢) أخرجه في : ٤٤ - كتاب التفسير ، ٦٣ - سورة المنافقين ، ٥ - حدثنا عبد بن حميد ،